

الغدير

[152] فطفق يتغلل بين أطباق الجحيم وتضربه زبائنها بمقامع من حديد، ولعلنا
المسناك هذه الحقيقة باليد فلن تجد في تضاعيفها تيك الأعوام له مآثرة يتبجح بها ابن
أنثى خلا ما تقوله زبائنه من أعداء أهل البيت عليهم السلام، وما عسى أن يكون مقيلاً من
ظل الحق؟ بعد ما أثبتناه من الحقيقة الراهنة، ووقفنا عليه من أحوال رواة السوء و
شناشهم في افتعال المدايح للزعانفة المؤتلفة معهم في النزعات الباطلة. وأما تأميره في
غزوة ذات السلاسل فلا يجديه نفعا بعد ما علمناه من أنه كان يتظاهر بالاسلام ويبطن النفاق
في طيلة حياته، وما كان الصالح العام والحكمة الإلهية يحدوان رسول الله صلى الله عليه وآله
على العمل بالبواطن، وإنما يجري القوم مجاري طواهرهم لأنهم حديثو عهد بالجاهلية،
والاسلام لما يتحكم في أفئدتهم، فلو كاشفهم على السرائر، لانتكصوا على أعقابهم، وتقهقروا
إلى جاهليتهم الأولى، فكان يسايرهم على هذا الظاهر لعلمهم يتمرنوا باعتناق الدين، ويأخذ
من قلوبهم محله، ولذلك أنه صلى الله عليه وآله كان يعلم بنفاق كثير من أصحابه كما أخبره
الله تعالى بقوله: و من أهل المدينة مردوا على النفاق. إلى غيرها من الآيات الكريمة، لكنه
يستر عليهم رعاية لما أبرمه حذار الانتكاث، فكان تأمير عمرو مع علمه بنفاقه لتلك الحكمة
البالغة غير ملازم لحسن حاله على ما عرفته من كلام مولانا أمير المؤمنين من أنه صلى الله عليه وآله
عليه وآله لما عقد له الراية شرط عليه شرطا قد أخلفه. ويعرب عن حقيقة ما نرتأيه قول
أبي عمرو وغيره: إن عمرو بن العاص ادعى على أهل الاسكندرية أنهم قد نقضوا العهد الذي
كان عاهدتهم، فعهد إليها فحارب أهلها وافتتحها، وقتل المقاتلة، وسبى الذرية، فنقم ذلك
عليه عثمان، ولم يصح عنده نقضهم العهد، فأمر برد السبي الذي سبوا من القرى إلى
مواضعهم، وعزل عمرو عن مصر وولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري مصر بدله، فكان
ذلك بدو الشر بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان، فلما بدا بينهما من الشر ما بدا اعتزل
عمرو في ناحية فلسطين بأهله، وكان يأتي المدينة أحيانا ويطعن على عثمان (1) و

(1) الاستيعاب 2 ص 435، شرح ابن أبي الحديد 2